

الفن المغربي الأندلسي

النجمة الثمانية في الفن المغربي

يشمل فن الزخرفة مجموعة من القواعد المستمدة أساسا من عناصر الطبيعة ، و تكمن غايتها في منح المعمار جمالية و دلالة إبداعية تبهر الناظر إليها ، و قد أبدع المسلمون فيه لدرجة قيل أن الفن الإسلامي فن زخرفي ، فالناظر للعمارة الإسلامية يلاحظ أنها لا تخلو من الزخرفة و النقش ، و لقد كان “هنري فوسيون” دقيق التعبير حينما قال^[1] : ” ما أخال شيئا يمكنه أن يجرد الحياة من ثوبها الظاهر و ينقلنا إلى مضمونها الدفين مثل التشكيلات الهندسية للزخارف الإسلامية ،فليست هذه التشكيلات سوى ثمرة لتفكير قائم على الحساب الدقيق قد يتحول إلى نوع من الرسوم البيانية لأفكار فلسفية و معان روحية “ و تنوعت الأشكال الهندسية التي من بينها النجمة الثمانية حيث أن هندستها المتفردة برزت في زخارف العمارة الإسلامية”^[2].

تاريخ ظهور شكل النجمة يعود في بعض اللوحات من الفترة السومرية ،وذلك في وصفها من خلال كتاب الشرق الأدنى القديم أثارت انتباهي لوحة ” بناء الزاقورات للملك أورنمو” : حيث تمت الإشارة إلى النجمة في كتاب الشرق الأدنى القديم :^[3] ” ... وقد مثل الملك في أعلاه واقفا أسفل رمز إله القمر “نانا” الذي كان يمثل بهلال يتوسطه “نجمة” .

و ينسب بعض الباحثين إلى أن أصول النجمة الثمانية تكون رمزا لإله الشمس عند العراقيين القدامى . كما استعملت بوصفها تكوينا هندسيا متميزا من حيث التقارب و التناظر و التوازن في تكوين النوافذ و الشبائيك ، و لاسيما في العصر الأموي ، و الغاية من استعمالها هي تقليل الإبهار الضوئي للشمس داخل الفناء أو الغرفة

تتعدى إلى الناحية الاجتماعية إذ أنها تحجب النساء و ما يدور داخل فناء البيت أو الغرفة عن أعين المارة عند تثبيتها في الأماكن المطللة على الطرق خاصة الطوابق الأرضية^[4] .
تظهر فسيفساء مدرسة الصفارين بفاس النجمة الثمانية. وتعتبر مدرسة الصفارين أول مدرسة بنتها الدولة المرينية على يد السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق^[5] . تمتاز بالبساطة في مكوناتها المعمارية ، و ميزتها الزخرفة الهندسية و النباتية و الزليج الذي يكسو أعمدها و أفاريزها المزينة بزخرفة النجمة الثمانية من هنا يعتبر الرمز دلالة لأنواع الفنون.

و الفن الإسلامي غني بسمات رمزية تؤكد الهوية و الخصوصية الإسلامية بتوازن زخرفتها و تناظرها ، و روعة أشكاله و صورته و تقنياته ترك أثرا على العمارة الإسلامية ، و هذا ما يبدو جليا انطلاقا من نموذج النجمة الثمانية.

بيبليوغرافيا :

الفن المغربي الأندلسي

- 1- فوسيون (هنري) ، عطاءات الفن الإسلامي : القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، تروث عكاشة، مصر ،دار المعارف ، ص 39 .
- 2-حسين محمد (يوسف) ،حسن حمودة القاضي ،فن ابتكار الأشكال الزخرفية و تطبيقاتها العملية، القاهرة ،دار النشر ابن سينا ، ص27 .
- 3- أمين سليم (أحمد) ،تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بيروت ،دار النهضة العربية ،1989 ص290 .
- 4- غزوان (معتز عناد) ،الدلالات الفكرية و الرمزية للفن الإسلامي في التصميم المعاصر ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ، العدد 101 ، ص521-522 .
- 5- الكتاني (محمد بن عبد الحي) ، ماضي القرويين و مستقبلها ، دار الكتب العلمية بيروت ، ص 87.

- رزقي (نبيلة)، الزخارف الجصية بعمائر المغرب الأوسط والأندلس، دكتوراه علوم،
2015/2014

1.3 مفهوم الفن المغربي الأندلسي:

هو ذلك الإرث الشامخ في العمارة الإسلامية و الفنون التطبيقية الذي ساهم في إنتاجه فنانون من المغرب و الأندلس فوق أراضي المغرب الإسلامي بكل من مجموع المغرب وأرض الأندلس الإسلامية طوال عهود ملوك المرابطين و الموحدين ابتداء من تاريخ واقعة الرقعة كما ينصرف مدلول هذا الاصطلاح إلى التراث المعماري و الفني بالعدوتين أيام بني مرين ورتة الموحدين إلى غاية عهدهم بغاس وسقوط بني الأحمر بغرناطة¹.

2.3 خصائص الفن المغربي الأندلسي:

يجمع مؤرخو الفن الأندلسي على أن جميع الصور المتطورة لعناصر البناء في مختلف أبنية الأندلس إنما إنبتقت أصلا من بنية المسجد الجامع بقرطبة و التي ستميز كقطب للفن الإسلامي² ففي مسجدها تكمن المنابت الأولى للفن الأندلسي التي أخذت في الظهور في عصر الخلافة الأموية ثم ترعرعت بعد ذلك في عصر الطوائف و فتحت براعمها في عصر دولتي المرابطين و الموحدين وأثمرت في عصر بني الأحمر.

¹ أنفان إسماعيل، المربع العاقب، ص57 ..

² George Marcais.Manuel d art Musilman.....Ibid.p290.

يمثل جامع قرطبة المبع الرئيسي الذي إرتوت منه فنون الإسلام في المغرب والأندلس عبر العصور إذ بقي المثل الأعلى الذي اقتدى به البناؤون والمزخرفون لمساجد المغرب والأندلس، تبرز أهم ملامح الفن المغربي الأندلسي فيما يلي:

- اتساع بيوت الصلاة وكثرة الأعمدة الرخامية التي تحمل السقف والتوسع في استعمال الأقواس المذبية والحلوية وزخرفة السقوف الخشبية والاعتماد في زخرفة الجدران على القاشاني و الفسيفساء¹.

- التركيز على استخدام النقوش الحصية في الزخرفة التي بلغت مستوى رفيعا من دقة النقش وتنوع الزخارف والمواضيع².

- المئذنة ذات مقطع مربع إذ تأثرت المئذنة المغربية بالمئذنة الأندلسية هذه الأخيرة التي اتخذت الشكل المربع في مدن الشام وتعتبر مئذنة الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل بالمسجد الجامع أقدم المآذن الأندلسية³.

- استعمال القباب الحجرية ذات الأضلاع المقاطعة للمرة الأولى في تاريخ العمارة إذ يعود ابتكارها للمهندس الحكم المستنصر ومن قرطبة انتشر استخدام هذا النوع من القباب في المساجد الجامعة في الأندلس وفي المغرب في عصر دولة المرابطين والموحدين⁴.

¹-سين مؤسس المساجد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص86

²عثمان عثمان، محاسن الربيع السابق ج2، ص192

³محمد عادل عبد العزيز، الجنود الاندلسية في الثقافة العربية، دار غرب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص217-220

⁴محمد عادل عبد العزيز، الربيع نفسه، ص215.

3.3 مراحل تطور الفن المغربي الأندلسي:

لا شك أن المنارة نقلوا روائع الفن الأندلسي إلى بلادهم في مستهل العصر الإدريسي¹، فأفرغوا عظمة فنهم في المساجد و القناطر و المدارس و أهم مساجد هذه الحقبة (مسجد القرويين) الذي يشبه جامع قرطبة.

أ- تطور الفن المغربي الأندلسي في العهد المرابطي:

لقد ورت المرابطون ملك المغرب و الأندلس وبتوا عاصمتهم الجديدة على باب الصحراء و سموها مراكش وهكذا تأسست هذه الدولة أولا في المغرب و انتقلت إلى إسبانيا فعُتت الصلات الثقافية أقصى البلاد المغربية و أطراف البلاد الأندلسية، وقد إنهر حكامها بمظاهر الأبهة في حضارة الأندلس فأحلوا بها، حيث انشئت في عهدهم تجمعات عمرانية جديدة مثل مدينة مراكش و انتعشت أخرى كانت قائمة مثل فاس و مكناس و تلمسان وغيرها، في خضم هذه النهضة العمرانية استقدموا الكثير من رجال الفن و لبا لآندلسيين و اشركوهم في البناء فانفتحت ابواب المغرب أمام التأثيرات الفنية الأندلسية و ارتبطت المنطقتان في عصرهم و لأول مرة في وحدة فنية وثيقة بدت آثارها واضحة فيما بقي من آثارهم في المغرب².

وقد إنجه المرابطون خاصة نحو هندسة المساجد التي لم يعد يخلو منها ريبض و لا زقاق و لا سيما في فاس كما اعتموا ببناء القلاع على غرار الحصون الأصلية مع الاقتباس في فاس حيث استقدم يوسف بن تاشفين³ من قرطبة جملة من الصناع طوروا مساجد المدينة⁴، أمّا ابنه علي بن

¹ من الادامة الطر بين زهرة الأسي في بناء مدينة فاس تحقيق عبد الوهاب ابن منصور ملي بزباني، ط2، الطبيعة المكية الرباط، 91، ص10-27

² عبد الحسن طه رمضان، الربيع السابق، ص408-409.

³ بيان حكم الصلح يوسف بن تاشفين (453-500/1061-1106م) نصف الفن با الساسة و الفتنش: الطر سيرين بوزن، فون الاندلس، الربيع السابق ص874.

⁴ عبد العزيز بن عبد الله بالفن المعاري بين المغرب و الأندلس الامد و قطاء، مجلة أترات الحضاري الفترال بين المغرب و الأندلس بالهلال العربية للطباعة والنشر، الملكة العربية 93 ص305.

انظر ايضا: مامويل سويت مورينو، الفن الاسلامي في اسبانيا من الفتح الاسلامي لاندلس سن نهاية مصر المرابطين، ترجمة لطفي عبد البديع، عبد العزيز ما لم مؤسسه شباب الجماعة الاسكندرية، رابعه جمال محمد حمز، ص37.

يوسف الأندلسي المنشأ زود بلاطه المغربي بنخبة من أئمة و فقهاء و كبار الشعراء و الأدباء و العلماء الأندلسيين¹، كما فتح المجال للفنانين و المعمارين الأندلسيين للعمل في شمال إفريقيا إذ أنشئت أعظم المراكز الفنية المرابطية حيث وجد الفنانون الإسبان ضالهم في نهاية القرن 5-11م حتى بداية القرن 6-12م في كل من تلمسان و مراکش و فاس².

وقد تمكن المرابطون من فتح طريق التلاقح الفني شرقاً و غرباً ، فمن ناحية الشرق كانت المسور قائمة في شكل تجمعات عمرانية لنقل و تبادل التأثيرات المعمارية و الفنية بين المغرب الأقصى و دول المغرب العربي عن طريق بجاية و قلعة بني حماد و أشير و جزائر مرزغنة و المدينة و غيرهم³، إذ قلّد عرفاء بناء جامع تلمسان المسجد الجامع بقرطبة تقليدًا مباشرًا في زخرفة واجهة المحراب و قبة أمام المحراب يذكر في هذا الشأن شارل أندري جوليان " أما فيما يخص الزخرف فإن رسم الزهور هو الغالب بشكله النهائي المتمثل في ماروح النخيل المفردة أو المزدوجة المعروفة في رقة و المحتلطة بالأكتنا أشد الاختلاط و يمتاز المحراب بزخرفة أنيقة تذكرنا بمحراب جامع قرطبة"⁴ كما يكشف هذا المسجد عن الطابع الأندلسي بوضوح و بخاصة في شكل قبة المعرقة و المكوّنة من عروق حصى تتشابه لتشكل قلسوة مقرنصة و يمتاز محرابه بإطاره المزين بالغيشاني و بالقرش العربي الباقى و بقوس مقصص يؤدي إليه و هذه الزخرفة تشهد على انتقال واسع للطراز الأندلسي إلى المغرب"⁵

و بذلك مهد المرابطون لنقل الحضارة الأندلسية إلى المغرب و كان من الطبيعي أن يبهرهم ما شاهدوه من حضارة بلغت ذروة الإتقان و الكمال عندما حلوا بالأندلس و من الطبيعي أيضا أن

¹ أحمدى عبد النعم محمد -سبين بالتاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الاندلس في عصر المرابطين ، ، دار العروة الذهبية الإصكيرية، 1997، ص326.

² جبرين مودز ، الربيع السابق ص874

³ صمدان صماميل ، الربيع السابق، ج 2 ، ص63

⁴ شارل أندري جوليان ، تاريخ أفريقيا الشمالية (تونس الجزائر المغرب الأقصى) من الفتح إلى سنة 1830 ، تحرير محمد مزالي ج2 دار هونيق للنشر 1983 ص118-119.

⁵ نجيب عيسى بالعمارة العربية الجمالية و الوحدة و النوع . سلسلة إبداع 5. منشورات المجلس القومي للثقافة العربية ص248.

يكون الجانب المادي وما يكتنفه من زينة و زخرف أكثر النواحي الحضارية التي إستهوت قلوب المرابطين البدو و لهذا السبب إهتموا بالناحية المعمارية أكثر من غيرها¹.

و من مملكاتهم في إسبانيا الإسلامية بقايا قصر "منتقوت" في سهل مرسية على بعد 4 كم شمال شرقي هذه المدينة ويعتبر هذا القصر المثل الأول الذي إحتضه الموحدون في قصورهم بإشبيلية ومالقة وقرطبة والذي إحتضه بنو نصر من بعدهم في هو الأسود بحمراء غرناطة وأهم ما يتميز به التناسق التام في منحارج سورته ومدخله وفي توزيع غرفه، يتوسط هذا القصر صحن مستطيل يطل على حائبيه القصرين حوسقان مربعان بارزان بمهدان لجوسقي هو الأسود بغرناطة ويتقاطع بمشيان يؤلفان محور البناء على شكل صليبي وتزين المستطيلات الأربعة الناشئة من هذ التقاطع بأشجار البرتقال والليمون وقد اتبع هذا النظام في بعض قصور أمراء بني مرين بمراكش².

لقد أثرت الوحدة السياسية التي حققها المرابطون بين لأندلس والمغرب على عملية المزج والانصهار بين الحضارتين المغربية ولأندلسية حيث جلب أمراء المرابطين الصناع من الأندلس معتمدين عليهم في إقامة منشآتهم العمرانية كالتقصور والمساجد إذ لاحظ جورج مارسلي أن المغرب قد إستفاد من تلاحمه مع الأندلس فبنا وقد ورد عليه صناع قرطبيون لبناء مؤسساته³.

وقد إتسمت مباني المرابطين عموما بالضخامة والقوة والاتساع مع الإقلال من الزخرفة بسبب المدأ الديني، إلا أنهم أباحوا ذلك في بعض مساجدهم وذلك ما حدث في جامع القرويين بفاس أثناء توسعته سنة 533هـ-1381م، حيث زين محرابه وقبته بأنواع مختلفة من الزخرفة والنقش وقد وصف الجزنائي ألوان النقش و الزخرفة التي صنعت بالمسجد بقوله "وأخذ في عمل القبة التي بأعلى المحراب وما يجادها من وسط البلاطين المتصل بمها، فعل ذلك بالجلس المغربي الفاخر الصنعة و النقش فيه على المحراب و دائرة القبة التي عليه ورقش ذلك كله بورق الذهب و

¹ محمد الأمين محمد علي فرحاني، البعيد في تاريخ المغرب، نشر دار الكتب دار البيضاء ص 146.

² السيد عبد العزيز صالح، الربيع السابق، ص 139.

³ حسن السالح، الربيع السابق، ص 190.

اللازورد و أصناف الأصبغة وركب في الشمامات التي بجوانب القبة أشكال متقنة من أنواع الزجاج و ألوانه على أحسن ما يريد ثم أخذ في تغطية بعض أبواب الجامع بصفائح النحاس الأصفر بالعمل المحكم و الشكل المتقن "غير أن هذه الزخرفة وجدت أعراسا من الخليفة عبد المؤمن في بداية عهده إقتداء بتعاليم ابن تومرت الدينية في البعد عن النقش و الزخرفة، حين دخل عبد المؤمن مدينة فاس حرص أهلها على تغطية القوس من الزخرفة التي بجامعها وغطيت الزخارف بالحص¹. مع إهتمام الحكام المرابطين بحركة التشييد و الزخرفة زخر المغرب و الأندلس بروائع الفن المزدوج الذي بلغ ذروته في القرن 5هـ-11م في رقة و رشاقة الفن الأندلسي و هبة الدولة الصحراوية² إذ كان لانتشار المرابطين صوب السودان في الجنوب و إبتداء سلطتهم على الأندلس أن جمعت دولتهم بين المؤثرات الأندلسية و المغربية و السودانية فالفت بين تراث هذه البلاد ذات الحضارات المختلفة و الثقافات المتباينة فازدهرت مراكش عاصمة هذا الملك الشاسع و بلغت أوجها³.

ب- التطور الفني المغربي الأندلسي في عهد المرابطين:

تعتبر دولة المرابطين من أعظم الدول في التاريخ الإسلامي إذ بلغت بتاريخ المغرب في تلك الحقبة ذروته و تمكنت من تحقيق وحدة المغرب بأقسامه المختلفة ممثدا من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا و من سواحل البحر المتوسط إلى مشارف إفريقيا المدارية جنوبا بالإضافة إلى سيطرتهم على بلاد الأندلس و التاريخ يشهد بأن دولة المرابطين كانت آخر دولة إسلامية في المغرب استطاعت ان توحد الرقعة الممتدة من حدود مصر غربا حتى ساحل المحيط الأطلسي شرقا تحت حكم دولة واحدة، حيث بلغت الحضارة المغربية أوجها، إذ يعتبر عصرهم العصر الذهبي⁴ و بعد إتساع حدود الإمبراطورية المغربية أثناء حكم المرابطين شملت جميع المناطق و الممالك التي

¹ -حسن علي حسن، الربيع السابق، ص 377، انظر أيضا حسن السائح، الربيع السابق، ص 194

² -حسن السائح، الربيع السابق، ص 195.

³ -مصطفى عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515-1038-1121م، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988. لبنان ص 14.

⁴ -أسين مؤسس، موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ وفكر و حضارة و تراث، ج2، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996، ص 14.

تعدّها جنوباً الصحراء و شرقاً ليبيا و شمالاً البحر المتوسط و غرباً المحيط، تتلقى الفن المغربي تأثيرات جديدة إستلهمها من الشرق عبر القيروان و قلعة بني حماد حيث توجد التأثيرات المصرية والعراقية ففتح الموحدون لإفريقية جعلهم يتكونون بفن ذي تأثيرات شرقية جاءت من مصر و العراق¹.

حمل عبد المؤمن الموحدى لقب أمير المؤمنين (يوسف بن تاشفين المرابطى لقب نفسه بأمر المسلمين) و بصورة أدق فترة المائة و العشرين عام التي تبدأ مع قدوم عبد المؤمن سنة 527هـ- 1132م حتى واقعة العقاب 609هـ-1212م تضع المغرب الإسلامي في قمة جميع المجالات²، إذ احتل الموحدون في تاريخ الفن الإسلامي مكانة مرموقة تفوق ما كان للمرابطين في هذا الميدان بالرغم من معارضة المهدي بن تومرت* الموحدى، إذ إهتم عبد المؤمن بالشعراء كما أقام العماثر الرائعة و إزداد الفن روعة في عصر ولده³ يوسف الذي اترى بلاطه بالأطباء و الفلاسفة امتثالاً لإبن رشد و ابن طفيل و ابن زهر و ابن مروان القرطبي⁴.

تميل منشآتهم بعمامة إلى التبسيط في التكوينات الزخرفية و تجريد التوريقات من عناصرها الحية و طبعها بطابع من الورع يعكس اتجاههم الإصلاحى وقد تأثرت فنونهم المعمارية و الزخرفية منذ أوائل عهدهم تأثراً عميقاً برجال الفن الأندلسي و مهندسيه الذين استقدموا إلى المغرب ليشاركوا في تشييد معظم منشآتهم هناك أو في الأندلس ذاتها مثل أحمد بن باسة عريف البنائين في الأندلس الذي تولى بناء جامع إشبيلية و الحاج يعيش المالقي الذي شارك في بناء حصن جبل طارق

¹ عثمان ساميل، الربيع السابق، ص 69.

² جورج مارسى، بلاد المغرب و ملاحظتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى ترجمة: حمود عبد الصمد هيكل توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية 1999، ص 277.

³ كان المهدي ريساً من قبيلة مرزة إحدى قبائل الصمعة و اسمه محمد أشهرى با المهدي بعد إمرانه لدومه و هو ينصب في أول بيت عليهم السلام و مرج طالباً للعلم سنة 501. فدسّل الأندلس و رسل إلى الشرق ففتح و لقي الأئمة و حصل على علم نزيه. انظر: مصدات عبد الطيف دنش، الربيع السابق، ص 14.

⁴ يوسف أكبر أبناء عبد المؤمن واصلهم بحسب ما رأى شيوخ الواسيين و كان في سنود الفواين عندما تولى الامر و كان قد قضى سنوات طويلة في الأندلس واصل على أشبيلية لأبيه و كان ذا ثقافة واسعة، انظر: حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، الربيع السابق ص 109.

⁴ روض القرطاس، الربيع السابق، ج 2، ص 176.

«من أشهر خلفائهم ولما بالبناء و لتعمير عبد المؤمن بن علي الذي شيد سور تاقراوت بتلمسان وأقام مسجدها الجامع(1145/540م) كما أقام جامع تاملل الحالي¹ والخليفة الثاني ابنه يوسف الذي أقدم على بناء الجامع الكبير بإشبيلية مستعينا بجزء بناء من مراكش وفاس و أهل العدو بالإضافة إلى الأندلسيين في بناء الجامع الكبير بإشبيلية :

يقول ابن صاحب الصلوات² في هذه السنة «سنة 567هـ-1171م في شهر رمضان بدأ أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن باختطاط موضع هذا الجامع العتيق الأنيق فهدمت الديار داخل القصة وحضر على ذلك شيخ العرفاء أحمد بن باسة و أصحابه العرفاء النأؤون من أهل إشبيلية وجميع عرفاء أهل الأندلس من أهل حضرة مراكش و مدينة فاس و أهل العدو»².

أما الخليفة الثالث هو أبو يعقوب المنصور³ الذي ضرب الرقم القياسي في اهتمامه بالعمارة وبناء المساجد والتحصينات والقصور في المغرب و الأندلس فزاد في الاهتمام بالعمارة، وإظهارها بمظهر الجمال وكانت إشبيلية و الرباط و مراكش مواطن تركيزه الفني ومن آثاره الفنية الباقية مئذنة جامع إشبيلية ومئذنة جامع حسان بالرباط ومئذنة الكتبية بمراكش و رابع الخلفاء اهتماما بالبناء محمد بن أبي يوسف الناصر⁴.

لقد تناولت عنابة الموحدين المغرب و الأندلس على السواء باعتبارهما وطنًا إسلاميًا واحدًا وقد كان للصناع و المهندسين الأندلسيين الذين استقدموا إلى المغرب في مناسبات متعددة أعظم الفضل في نشر الحضارة الأندلسية الراهرة في الربوع المغربية⁵، ففضلهم يتلى القرن السادس لبعض علماء الآثار كمعصر بلغ فيه الفن لوجه في الشق الغربي من العالم الإسلامي وقد شرع عبد المؤمن في أن واحد في بناء مسجد تازة و المدينة نفسها و كذلك مسجد تاملل و تلو الهندسة

¹ عبد الحسن بن رمضان ، الربيع السابق، ص 430

² حسن علي حسن، الربيع السابق، ص 376.

³ ولد في قرطبة و قس في إشبيلية -بزا كثيرا من طفوله وتمر برقة الاندلس فحرس على تجميل -سانتر: ملكة في الاندلس انظر: مقدمة

ابن -سلون،،الصدر السابق، ج 1، ص 464

⁴ عبد الحسن بن رمضان، الربيع السابق، ص 429

⁵ محمد الأمين محمد علي الرحمان، القيد في تاريخ العرب نشر دار الكتاب دار البيضاء ص 151.

الموحدية في أجمل معالمها في مساجد مراكش و حسان بالرباط و مرصد الخالدة بإشبيلية (الشكل 01) إذ تعد مئذنة الكعبة من أروع المادن الموحدية وأجملها تخطيطاً و بناءً و زخرفةً فهي النموذج الذي اخذته المآذن المغربية مثالا لها ، تتميز بأبعادها و مقاساتها و هيئتها المعمارية فضلا عن تركيبها الداخلية و عظم زخارفها ، بدفها مربع الشكل على طراز المآذن المغربية التي انشئت قبلها جدرانها مستقيمة تتوجه شرقا مسننة متمائلة تعتبر اعلى مئذنة في المغرب الإسلامي كما تعتبر من أجمل المآذن المغربية بالنسبة لمقاساتها المتميزة إذ أن طول ضلعها يساوي خمس الارتفاع الكلي لها وقد روعيت هذه النسبة في مئذنتي الخرالدا بالأندلس و حسان بالرباط¹ .

ج- التطور الفني المغربي الأندلسي في العهد الزياني:

عرفت تلمسان في عهد بني زيان أوج ازدهارها في شتى المجالات السياسية و الاقتصادية و الثقافية إذ أصبحت مركزا هائلا توافد عليه الضائع من كل الأقطار ، و يعود الفضل في ذلك إلى موقعها الإستراتيجي الهام إذ قال عنها الإدريسي " مدينة تلمسان قفل بلاد المغرب وهي على الرصيف للدخل و للخارج منه لا بد منها و الاحتياز لها على كل حال " ² "أنا الأندلسيون يقولون كأنها من مدن الأندلس لمياهها و سائتها و كثرة صنائعها " ³ .

و منذ أن نزل بنو زيان بتلمسان و أخذوها دار ملكهم و كرسياً لسلطانهم إحتلوا بها القصور و المنازل و اغتربوا الرياض و الساتين و أخرّوا خلالها المياه و أصبحت أعظم أمصار المغرب و نفقت بها أسواق العلوم و الصنائع فنشأ بها العلماء و اشتهر فيها الأعمال و ضاهت أمصار الدولة الإسلامية

¹ صالح يوسف بن قرية باحات و دراسات في تاريخ و آثار العرب الإسلامي و حضارته ، دار الهدى الجزائر، 2011، ص 323-325

² الفريفي الأندلسي ، العرب أرض السودان و مصر و الأندلس ، ماسود: من كتاب نزهة الضائق في اسراف الأتقي ، طبع في مدينة ليدن الهروسة بمطبع بريل 1866 ص 82.

³ ابن سعيد الغرناطي (علي بن موسى بن سعيد) ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ط 2 ديوان الطوموت الجامعة الجزائر 1982 ص 42.

والقواعد الخلافية¹، إذ يعود الفضل الكبير إلى ملوك بني زيان في نشاط الحياة الثقافية بتلمسان إذ أصبحت في عهدهم مركزاً حضارياً بالمغرب الإسلامي إضافة إلى فاس، وتونس وقرطبة .
تمكن بني زيان من بناء عمائر متعددة إذ رفع مؤسس الدولة يعمراسن مئذنة المسجد الكبير وأمر برسيم قبة ومؤذنة مسجد أغاندير القديم واهتم بتعمير الجهة الغربية للمدينة كما شيد قصر المشور وبالرغم من الحروب والصراعات تمكن خلفاء يعمراسن من البروز كأبناء محاربيين ومشيديين حماة للفن والعلوم فقد ورثهم مؤسس دولتهم رسالة معمارية حملوها ورحى الحرب دائرة ،يقال أن الأمير أبا تشفين الذي كان أميراً فناناً بارعاً في الرسم اشتهر أكثر من سابقه في تزيين المدينة كتشيد دار السرور ودار الملك ودار أبي الفهر والمدرسة التشفينية التي اندثرت سنة 1292هـ- 1876م².

لقد كانت علاقة الزيبانيين بالأندلسيين وثيقة إذ ارتبطت تلمسان بقرطبة في مختلف الميادين حتى صار لها طابع أندلسي نلمسه في مساجدها ومدارسها ومبانيها ،وقد نتج هذا التأثير عن تنقل الأفراد والعائلات والمخرفيين ما بين المنطقتين ،كما إنتشرت في البلاط الريابي شخصيات أندلسية اشتملت في أرقى المناصب كالوزارة ففي عهد أبي جمو موسى لأول تولّى الوزارة محمد بن ميمون الملاح³ وولده من بعده ثم عمهما (من مشاهير رجال المال من قرطبة)،انقرض أمرهم مع إغتيال أبي جمو الأول 817هـ-1414م ، وقد قتلوا معه ، ليتولى الوزارة ملك من أصل قطلاني إسباني اسمه هلال ،ولد في قرطبة تولى في بلاط بن لأحمر وقد أهدى سلطان قرطبة إلى أبي جمو الأول الذي أعطاه بدوره إلى أبي تاشفين الذي ولاه حجابته حينما صار سلطاناً ، وواصلت تلمسان في

¹ عبد الرحمان ابن سلون المصدر السابق، ج7، ص105.

² وليام وجورج ماري، العالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، ترجمة: بلعيد، علي محمد يوروية، فلة ميد مزيانا، لأمانة للثقافة والفرجة بالجزائر، ط1، 2011، ص35-37.

³ ثم أهل بيت من قرطبة كانوا يترقبون فيها بسكّة الدنانير و الدراهم ،نزل بولهم بتلمسان مع بحالة قرطبة فاسترقوا بحرفهم الاول وزادوا فيها الفلاسة وغنلو خدمة منان بن يعمراسن وابنه وكان لهم في دولة ابي جمو مزيد -سلطوة وساية فوئى على -حجابه منهم لأول مولده محمد بن ميمون بن الملاح ثم ابنه محمد بن الاشقر من بعده ثم ابنه ابراهيم بن محمد،انظر: عبد الرحمان ابن سلون المصدر السابق، ج7، ص. 140-141 .

إستقبال أعداد كبيرة من العلماء الأندلسيين الذين تولوا مهام التدريس في مساجد ومدارس تلمسان وكان ثمن وصل بعد حجة الأندلس آخر أمرائها المعروف بلقب الرغل وعادة ما كان يتم تبادل الهدايا بين سلاطين بني زيان وبني الأحرر إذ أرسل السلطان بخراسن هدية إلى السلطان ابن الأحرر بالأندلس شملت الخيول و الثياب كما قام الأمير أبي عبد الله محمد الغني بالله بإرسال هدية يهنئ السلطان أبو جهم موسى الثاني بالعودة إلى تلمسان التي كانت محط أنظار سكان غرناطة وعلمائها بدليل إستجداد الوزير لسان الدين بن الخطيب بالسلطان أبي جهم موسى الأول من أجل إنقاذه من السلطان الغني بالله بحكم العلاقة بين السلاطين¹.

يعتبر عصر أبي جهم موسى الثاني من أزهر فترات الدولة الزيانية 650هـ-791هـ/1252-1389م ولد هذا السلطان في غرناطة سنة 722هـ-1322م وقضى فيها فترة شبابه عندما كان والده مغنيا فتأثرت شخصيته بالحضارة الأندلسية الراقية التي كانت سائدة في غرناطة كما كان له أثر كبير على ازدهار الحضارة بتلمسان حتى صارت في عهدهم صورة لغرناطة من أعماله في المجال العمراني والثقافي تشييده ابتداء من سنة 764هـ-1363م بمجمع ديني تقافي يتكون من:

المدرسة اليقوية(نسبة لأبيه):درّس بها العالم أبو عبد الله الشريف الحسيني²، برهنت هذه المدرسة على كفاءات البناء التلمساني من استيعاب النماذج الجديدة مع وضع بصماته عليها فجاءت هيكلتها صحنها شبيهة بصحن حنة العريف.

مسجد سيدي إبراهيم المصمودي³: وهو روضة ملكية نقل إليها من ندرومة رفاة أبيه من منطقة شلف جنماني عمه الذين اعدوا من قبل أبي عثمان المريني بعد هزيمتهما كما دفن فيها أيضا أبو عبد

¹ إسماعيل كامل عبد الرزاق شقمان، تلمسان في العهد الزياني 336-962/1235-1555م، بمصنوع قسم التاريخ، جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين 2002، ص123.

² أبو يحيى دويدي، ولد سنة 748، بنا على نفا وميناء ومصر بالهيز واندلس والحرس على طلب العلم فأصبح قضايا بالبوقي سنة 792، مرة في هجر وهو منسجها من غرناطة أن يلد، تلمسان، انحرام الحرم الشريف الكبير الديون، الجمان في: تلمسان، وهمدان، في تلمسان، الحجة شعيبا، الجزائر، 1908، ص117-120.

³ هذا الصانع وهوون الإزدليو محتلف بعد فيوخ اودام أبو زروق الخلد الخو على هلم وهيد، والابن، اسمه من صهاية العرب، قرب الكفاة، درس بالدرمة أهضافية على يد سيدي صيد بنان، بوقي سنة 805، وثلى بروضة أو زياد، ابن مرير، الصبر صهايق، ص64-66.

الله (الزرغل السلطان ما قبل الأخير لإمارة غرناطة)¹.

وقد أهتم كل من أبي جمو الأول (808هـ-817هـ/1405-1414م) وإبسه أبي تاشفين (817-838هـ/1414-1434م) بالتشديد والبناء إذ طلب من السلطان أبي الوليد إسماعيل سلطان غرناطة (813هـ-852هـ/1410-1448م) أن يعيد عدداً من صناع الأندلس وفنانيها لبناء القصور بمحاذاة تلمسان².

و من بين معالم الزيبانيين مسجد أبي الحسن التنسي³ و لم يحمل إسم مؤسسهِ بل أخذ إسم عالم عاش في عهد الأمير أبي سعيد عثمان و هذا العالم هو أبو الحسن بن خلف التنسي، يشغل هذا المسجد مساحة صغيرة، إذ لا يحتوي على صحن بل بيت الصلاة و المئذنة فقط. و يعتبر محراب جامع سيدي أبي الحسن من أجمل المحاريب في العالم الإسلامي فهو يتوسط جدار القبلة، إذ ينافس في الأناقة محرابي تينملل و الكتبية بمراكش، له قبية ترتكز على أعمدة من المرمر الذي يتدلى منه قوس فتحة المحراب و الذي يمثل آية من آيات الفن المعماري المغربي الأندلسي الذي توصل إليه بنو عبد الواد كما أن مقرنصات قبية المحراب تتشابه ومقرنصات القبة المضلعة للجامع الكبير كما أخذ الفنان الزيباني ورقة الأكتاوا المراوح النحيلية عن الفنان المرابطي.

تشهد مجموعة المآذن التي توجت بها المساجد الزيبانية على كفاءة الفنانين الزيبانيين و كونهم أساتذة في الفن المغربي الأندلسي.

د- تطور الفن المغربي الأندلسي في العهد المريني:

في عهد الموحدين تألفت الحضارة المغربية الأندلسية حتى بلغت ذروتها ليستمر ازدهارها في عهد خلفائهم بني مرين الذين شكلوا الأسرة الثالثة التي حكمت المغرب الكبير و الأندلس و في

¹ نقادي سيدي محمد، نصر الدين براهمي، تلمسان الذاكرة، الجزائر دار تالة 2010، ص 20

² عبد الملك موسوي، تطابق فن الزسرفة بين تلمسان والأندلس، موسوعة الزسرفة في التراث الإسلامي الجزائري ط 2012، ص 1، 06

³ هو الشيخ أبي الحسن علي بن خلف التنسي، يلى من مدينة تلمسان واستقر بتلمسان ودرس بها من تلامذته الشيخ أبو عبد الله بن الحاج العبدري، توفي بتلمسان بين مرم المصدر السابق، ص 67-68.

هذا العصر ازدهرت الفنون التي نشاهد آثارها في مدارس مدينة فاس و هي حاضرة المغرب التي بناها الأدارسة كما تألفت في العمارة بشكل ملحوظ¹، وقد سقطت الدولة الموحدية بدخول أبي يوسف يعقوب المريني العاصمة مراكش سنة 668هـ - 1269 م ولم يكن سقوطها من الناحية الفنية نهاية طرازها فقد استمر ذلك الطراز على حيويته بعد قيام المرينيين خصوصاً وأن هؤلاء لم يبدوا في أول أمرهم اهتماماً بالبناء و التشييد و عناية بالفن الذي يمكن من خلاله أن يتشكل أسلوباً فنياً ومعمارياً خاصاً بهم و ذلك لانشغالهم بالمشاكل الداخلية السياسية و التنظيمية و المشاكل الخارجية في صراعهم مع الزيانيين ملوك تلمسان و جهادهم النصارى في الأندلس و مساعدة بني الأحمر ضد الإسبان²، و قد استثمر ملوك المرينيين منذ البداية مسؤوليتهم كوارثين حقيقيين لترات الموحدين الحضاري وفي سبيل الحفاظ على وحدة المغرب الإسلامي شرعوا في بسط الحماية على إفريقيا المغصية إلى أنحد ورد مع ملوك تلمسان بني عبد الواد و الالتزام بالدفاع عن كيان الإسلام بالأندلس و مواصلة الحماية للملك غرناطة بني نصر³.

ازدهرت مظاهر الحضارة و العمران في عهد بني مرين بعد أن أصبحوا أقوى ملوك إفريقيا إذ استطاعوا بفضل إتصالهم المزدوج بيني نصر ورتة الحضارة الأندلسية و بالموحدين التكيف و الانسحاق و محارة الحضارة، إذ بني المرينيون مجموعة رائعة من المساجد في تازة ووجدة و تلمسان و إهتموا إهتماماً كبيراً بالفن فشكل الفن المريني مدرسة قائمة الذات تمتاز بمهنية دقيقة فيها بيوت للطلبة موزعة توزيعاً هندسياً و يمتاز الفن بدقة النحت و النقش و النحر و الاعتناء بالساعات المائية .

و من أشهر منجزات السلطان أبي عنان فارس بن أبي حسن، المدرسة المتوكلية أو الوعانية التي شُيّدت بين 751-756هـ/1350-1355م ، وهي تمثل قمة التطور ك نموذج مدعش و فريد

¹ نجيب زيب ، الموسومة العامة لتاريخ المغرب والأندلس دار الامير للثقافة و العلوم ط1، بيروت لبنان ، 1990س11.

² عبد العزيز لمرج ، الباني المرينية في اماره تلمسان ، المربع السابق، س734.

³ محمد حسن فجة ، المربع السابق ، س61.

في مميزات المعمارية فقد كانت بوعمانية مكملات التي بدأها أبو الحسن وأتمها أبو عمان وحملت اسمه مرحلة انتقال ذات بيت للصلاة مربع التخطيط كمدارس أبي الحسن وذات أروقة محيطة بالصحن كوعمانية فاس التي جاءت على قمة التطور المعماري وعلى مستوى العمارة والفنون الإسلامية تمثل البوعمانية روعة الطراز المغربي الأندلسي الذي أثرى فنون الغرب وتغير بالأعمدة الرقيقة والتيجان المنحوتة الدقيقة والنقوش والزخارف المنتشرة على الخشب والجص والرخام وتضمن إبتكارات لتراكيب هندسية وتوريق وانتشار شبكة المعينات على الجدران وواجهات المآذن¹ إذ ورت المربيتون تقاليد الفن والحضارة الأندلسية ونقلوها وطبقوها في مدغم وقلاعهم وقصائهم وقصورهم وإمتاز الفن المربيتي باستعمال الطابية والأجر والحجر الغير المنقوش والنقش على الجص والخشب والأدهان البديعة والشمسيات الملونة والتحلل الموه وترصيع المنارات بالزليج كما شمل زخرفة الثريات والمصنوعات الجلدية والخزفية وترجع روعة العمران إلى جودة الذوق المغربي والحس الفني والتنوع والدقة²، ومن آثار المربيتين بتلمسان مسجد سيدي أبي مدين الذي يتميز بمدخل كثيف الزخرفة تتضمن جدرانه فسيفساء من الزليج تعلوها زخارف جصية كما زينت السقف بقبة مقرنصة ويعتبرها الأستاذ رشيد بوروية من أروع منشآت الفن المغربي الأندلسي كما أن زخرفة سقفه وجدرانه الداخلية ومحاربه وأقواسه تذكر التمكن فيها بحمراء غرناطة³.

¹ عثمان عثمان حماسيل، الربيع السابق، ج 4، ص 227.

² اتصال مؤيد مال الله مزور الامريسي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المربيتي دراسة ميدانية -تصانيفية، قسم

مايسنير تاريخ إسلامي -جامعة الوصل 2004 ص 11.-

³ Rachid.B. l'art Religieux musulman en algérie S.N.E.D ALGERIE p 363.